التأصيل الشرعي للتميّز

الدكتـــــورة
مريم بنت راشد بن صالح التميمي
أستاذ الفقه و أصوله المشارك
بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب - جامعة الدمام

المقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، و سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد :

فإن من نعم الله عز وجل علينا أن جعل ديننا الإسلام أعظم دين، وشرعه أتم شرع، يدعو إلى ما يسمو بالإنسان ويعلو به، وترتفع منزلته في الدنيا والآخرة فدعا إلى الإحسان والتميز، بل يمكن القول بأنه : تحقق في خاتمة الرسالات السماوية تميزاً لم يكن موجوداً في الرسائل السابقة، حيث جعل الله الرسالة الإسلامية خاتمة وشاملة، وكاملة، وباقية إلى قيام الساعة. وجعل التكليفات فيها لا إصر فيها ولا حرج ولا مشقة ولا رهبانية ولا مادية عنصرية.

فجاء هذا الدين شاملاً الدنيا والآخرة، والجسد والروح، وجاءت تشريعاته شاملة كاملة، حيث بيّنت ما يجب للإنسان وما يجب عليه في العسر واليسر، والصحة والمرض، والسلم والحرب، مع القريب والبعيد، والموافق والمخالف.

وغرس رسول الله ﷺ مبادئ هذا الدين العظيم في نفوس الصحابة، فنشئوا خير جيل، وكان خير قرن، ضربوا لنا أعظم المثل والصور في السمو والتميز، وليس هذا بالأمر العجب؛ لأن الذي علمهم هو رسول الله ﷺ.

وأتت أجيال تلو أجيال، وقرن يخلف قرناً حتى وصلنا إلى العصر الذي نعيشه اليوم، عصر السرعة والبطء، والتقدم والتخلف، والإقدام والإحجام.

أما السرعة والبطء : فالسرعة : سرعة الآلة والاكتشاف. والبطء : بطء التنفيذ والإنجاز، والمماطلة في إعطاء الحقوق على عكس القرون الأربعة الأول، فإن التقدم التقني لم يكن موجوداً في زمانهم، ولكن سرعة تنفيذ القرارات وإيصال الحقوق والواجبات كانوا أفضل من عصرنا، فكانت حالات الظلم في زمانهم أقل بكثير من حالات الظلم في زماننا.

وأما التقدم والتخلف : تقدم في المعيشة والمأكل واستخدام الآلة، وتخلف : في القيادة والريادة والتمكين في الأرض.

وأما الإقدام والإحجام : إقدام في الاستهلاك والانكباب على زينة الدنيا ومباهجها، وإحجام : عن الصناعة والزراعة والقوة الاقتصادية.

ونعيش اليوم في عالم يقول : لا بقاء إلا للأقوى، ولن يصل إلى تحقيق الأهداف إلا المتميز، وبدأ الغرب يصنفون ويؤلفون ويؤسسون لكيف تكون قوياً ومتميزاً ؟ وبدأت الأفكار والنظريات، وشرعوا في وضع المعايير للتميز في شتى مجالات الحياة.

ونظراً لأننا عشنا حالة من الإحجام والجمود، وتركنا المعين الصافي والمورد الكافي للتميز بدأ الغرب يأتينا بنظرياته ومعاييره، ونسينا أن في قرآننا وسنة نبينا ﷺ ما يغنينا عن ذلك كله.

أهداف البحث :

١- تقديم دراسة تأصيلية شرعية تبين أن التميّز مما قام عليه الإسلام ونادت به الشريعة الغرّاء.

٢- تعزيز الانتماء والولاء لهذا الدين في نفوس المسلمين ، والاعتزاز به ، والسير على أحكامه.

٣- بيان أن الإسلام دين متميّز، حيث ورد فيه التميّز في نصوص القرآن والسنة، ولا شك أنه عندما يوجد دين يهتم بالتميّز والمتميّزين فإن ذلك الدين هو متميز ايضاً ؛ لأنه لا يهتم بالمتميّزين إلا المتميّز.

٤- دعوة الأمة إلى ضرورة الرجوع إلى المعين الصافي والمورد الكافي (القرآن والسنة) ففيهما الغنى عن كل النظريات والدراسات التي تعنى بوضع مواصفات التميّز والمتميّزين.

منهج البحث :

يقوم منهج البحث على ما يلي :

١) جمع بعض الآيات التي تدل على التميّز وبيان وجه دلالتها على ذلك.

٢) النظر في الأحاديث النبوية الشريفة التي تدل على التميّز أو ما يتعلق به، واختيار بعض مما صحّ من تلك الأحاديث؛ لأن البحث يقوم على تأصيل التميّز وليس حصر كل ما ورد فيه من آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

٣) النظر فيما كتبه العلماء في تفسيرهم للآيات والأحاديث مما يساهم في توضيح التميّز الذي ورد في النص.

٤) عدم إدخال المعجزات والبيّنات التي أمد الله بها رسله عليهم السلام في دائرة التميّز، وذلك كجعل الله عز وجل النار برداً وسلاماً على إبراهيم عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام، وإحياء عيسى عليه السلام للموتى؛ لأن الله عز وجل أمدهم بتلك المعجزات تأييداً لهم وبرهاناً على صدقهم، وجذباً لأقوامهم إلى الإيمان بالله، واستثنيت معجزة محمد ﷺ وهي القرآن؛ لأن في معجزته ﷺ تميّزاً لم يوجد في معجزات من سواه من الأنبياء، فهو معجزة باقية ومحفوظة، أما غيره من المعجزات فهي وقتية ومنتهية.

٥) الرجوع إلى كل ما يخدم الموضوع من كتب الأصول والفقه، واللغة، وغيرها.

خطة البحث :

قسمت البحث إلى : مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

المقدمة : وفيها أهمية الموضوع، ومنهج البحث وخطته.

التمهيد : وفيه معنى التميّز في اللغة والاصطلاح.

المبحث الأول : دلالة القرآن على التميّز، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : دلالة القرآن على التميّز التكريمي.

المطلب الثاني : دلالة القرآن على التميّز الطلبي.

المطلب الثالث : دلالة القرآن على التميّز التحصيلي.

المبحث الثاني : دلالة السنة النبوية على التميّز، وفيه مطالبان :

المطلب الأول : دلالة السنة على التميّز الحاصل في الدنيا.

المطلب الثاني : دلالة السنة على التميّز الحاصل في الآخرة.

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث والدراسة.

أسأل الله العظيم الجليل أن يجعل في هذا البحث خيراً كثيراً، وأن يكون سبباً في اهتمام الأمة (أفراداً، ومجتمعات، ودول) بالتميّز والمتميّزين، ونسير على نهج خير المرسلين، الذي كان متميّزاً في أخلاقه، ودعوته، وكافة مجالات حياته، وكان ﷺ يهتم بالتميّز ليس بالدنيا فقط بل حتى بالآخرة.

ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

التمهيد

تعريف التميز :

التميّز في اللغة : مأخوذ من مَيَزَ، والميم والياء والزاء أصل صحيح يدل على تزيُّل شيء من شيء وتزيله ، وميّزته تمييزاً، ومزته ميزاً، وانماز الشيء انفصل[١] والميز : الرفعة، والميزُ : التمييز بين الأشياء، والميزة : بالكسر، التنقل، والتمايز : التحزب والتنافس.

ومازَ الأذى من الطريق : نحّاهُ وأزاله، وانماز عن مصلاه : تحوّل عنه[٢]، وورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴾[٣]، أي : تميّزوا أي : انفردوا عن المؤمنين،وقوله عز وجل : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ ﴾[٤] أي : تقطع، وقوله: ﴿ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾[٥]، قُرئ يميز : من ماز يميز، وقرئ يميّز : من ميّز يميّز. وماز الشيء يميزه ميزاً: فضّل بعضه على بعض، وماز فلان : إذا انتقل من مكان إلى مكان، واستماز عن الشيء: تباعد منه[٦].

---

(١) ينظر معجم مقاييس اللغة / لابن فارس (ميز) .

(٢) تاج العروس / للزبيدي (مَيَزَ).

(٣) يس / ٥٩.

(٤) الملك / ٨.

(٥) آل عمران / ١٧٩.

(٦) لسان العرب / لابن منظور (ميز) .

التميّز في الاصطلاح : مصطلح التميّز مصطلح حديث معاصر؛ ولذلك لم يوجد له تعريف عند القدماء، ومن التعريفات للتميّز فيما كتبه العلماء حديثاً : أن التميّز : الفصل بين المتشابهات، وقد يقال للقوّة التي في الدماغ، وبها تستنبط المعاني[(١)].

ومنهم من عرّفه بأنه : التفوق على الأقران، والظهور على الأتراب بكمال الصفات التي ترفع المرء وتعلي شأنه فتجليه من بينهم، وتظهره عليهم بحسن سمته وهديه الفذ، وخلقه

وسلوكه المرموق، وبشخصيته الإسلامية المتميّزة[(٢)].

ومنهم من يرى أن التميّز هو : تلك القدرة غير العادية، أو الاستعداد العقلي العالي لدى الفرد وهذه القدرة أو ذلك الاستعداد إما أن يكون موروثاً، أو مكتسباً، عقليا كان، أو بدنياً[(٣)].

ومنهم من عرّفه بأنه : المحافظة على الميزة التي يعتز الإنسان بها، والهوية التي ينتمي إليها[(٤)].

---

(١) التوقيف على مهمات التعاريف / محمد عبدالرؤوف المناوي / ص ٦٨٨.

(٢) ينظر بحث بعنوان : كيف تجعل ابنك مميزاً ؟ / ص ١ (ملخص لمحاضرة : مازن عبدالكريم الفريح) .

(٣) ينظر سيكلوجية الفروق الفردية والتفوق العقلي / أ.د أديب محمد الخالدي / ص ١٠٥.

(٤) ينظر هويتنا الإسلامية بين التحديات والانطلاق / وائل عبدالغني / مقال بمجلة البيان / عدد (١٢٨) / ص ٥٤.

والذي أراه : أن التميّز هو اختصاص فرد، أو جماعة، أو أمة بصفات القوّة معنويةً أو مادية، بحيث يظهر في ذلك الاختصاص ولا يجاريه فيه أحد، سواءٌ كان ذلك الاختصاص ذاتياً أو غير ذاتي.

ومن هذا التعريف يتضح : أن التميّز منه الفردي، ومنه الجماعي أو الأممي.

وأن التميّز مرتبط بالقوة، فالمتميّز بالحجة لاشك أن لديه قوة في الحجة، والمتميّز بالصبر لديه قوة في التحمل، والمتميّز في الصناعة لديه قوة فيها، وهكذا...

وحتى يحصل التميّز لا يكفي توفر صفة القوة وإنما لابد من الظهور والبروز فيها حتى لا يجاريه فيها أحد.

ولأن التميّز منه ما هو مكتسب، ومنه ما هو غير مكتسب وكلاهما تميّز ختم التعريف بقول: سواء كان ذلك الاختصاص ذاتي (التميّز التحصيلي أو المكتسب) أو غير ذاتي وهو ما يكون تكريماً من الله.

والتميّز بهذا المعنى هو ما يتناوله هذا البحث، وهو ما سيتضح من خلال الآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة.

المبحث الأول
دلالة القرآن على التميّز

إن مما فطر الله عز وجل عليه البشر التميّز والتمايز فيما بينهم، فإنه وإن كانت تجمعهم صفات مشتركة وملامح متشابهة، إلا أن كل واحد منهم عنده ما يميّزه عن غيره من حيث الشكل، وما البصمة إلا مثالاً على ذلك، فلا توجد بصمة تماثل أخرى، وهذه من عظمة الله وقدرته.

وعند التأمل في التميّز الذي ورد في القرآن الكريم يمكن تصنيفه إلى ثلاثة أنواع :

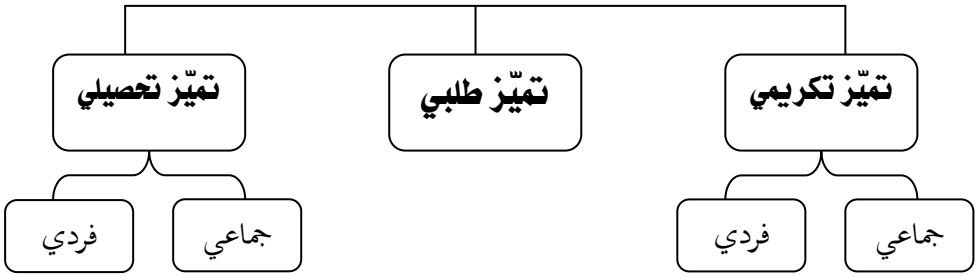

أما التميّز التكريمي : فهو ذلك التميّز الذي يهبه الله بمنّه وكرمه وفضله دون أن يطلبه الإنسان ويسعى إليه، فهو تكريمٌ من الله.

والتميّز الطلبي : هو ذلك التميّز الذي يطلبه الإنسان من الله عز وجل فيدعوه بأن يرزقه بما يميّزه عن غيره من الناس.

والتميّز التحصيلي (السببي) : وهو ما يحصل عليه الإنسان نتيجة لما يقوم به من مجهود زائد عن الآخرين بحيث لا يستطيع أحد أن يجاريه، أو ما

يتحلى به من الصبر وقوة التحمل وفضائل الأعمال التي تجعله متميزاً على من سواه.

وقد دلت الآيات القرآنية على هذه الأنواع من التميّز، وسوف يتناولها هذا المبحث في ثلاثة مطالب :

الأول : دلالة القرآن على التميّز التكرمي.

الثاني : دلالة القرآن على التميّز الطلبي.

الثالث : دلالة القرآن على التميّز التحصيلي.

المطلب الأول
دلالة القرآن على التميّز التكريمي

دلّت الآيات القرآنية على التميّز الذي هو كرمٌ من الله وفضل، وليس للإنسان علاقة به، وبالنظر في الآيات التي دلت على هذا النوع من التميّز يمكن القول بأن : التميّز التكريمي منه مايكون جماعياً، ومنه ما يكون فردياً.

أ- أما التميّز التكريمي الجماعي فمن الآيات التي دلت عليه مايلي:

١) قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[(١)].

وجه الدلالة : دلَّت الآية الكريمة على أن الله سبحانه وتعالى قد ميّز بني آدم جميعاً على سائر المخلوقات بالتكريم والتفضيل دون استثناء منهم، حيث جاء لفظ (بني آدم) مضافاً ومضاف إليه وهو من ألفاظ العموم[(٢)]، أما

---

(١) الإسراء / ٧٠.

(٢) الألفاظ الدالة على العموم كثيرة من أشهراها : كل وجميع، الجمع المعرف بأل الاستغراق أو الإضافة، المفرد المعرف بأل الاستغراق أو الإضافة، الأسماء الموصولة، والاستفهامية، والشرطية، والنكرة الواردة في سياق النفي.
ينظر روضة الناظر/ ابن قدامة/ تحقيق: د.عبدالكريم النملة (٢٦٦٦)، إحكام الفصول في أحكام الاصول / للباجي/ تحقيق : د. عبدالله محمد الجبوري/ ص ١٢٩، البرهان / للجويني (١/ ٣٦٠)، البحر المحيط (٣/ ٧٣)، الإحكام/ للآمدي (٢/ ١٩٧)،

التكريم : فكرّمه بأمور خلقية طبيعية ذاتية، مثل : العقل، والنطق، والخط، والصورة الحسنة، والقامة المديدة، ثم إنه تعالى مكّنه بواسطة ذلك العقل والفهم؛ لاكتساب العقائد الحقّة والأخلاق الفاضلة، وذلك هو التفضيل[١].

قال ابن عاشور (المتوفى سنة ١٣٩٣ هـ) : " الفرق بين التفضيل والتكريم بالعموم والخصوص، فالتكريم منظور فيه إلى تكريمه في ذاته، والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره على أنه فضّله بالعقل الذي به استصطلاح شؤونه، ودفع الأضرار عنه، وبأنواع المعارف والعلوم ".

٢) قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٢].

وجه الدلالة : تبين الآية الكريمة أن الله خلق الناس جميعاً في أحسن تقويم، حيث إن لفظ الإنسان جاء مفرداً ودخلت عليه (أل) الاستغراقية فأفاد العموم، وفي ذلك تمييز للإنسان على غيره من المخلوقات، حيث جعله الله عز وجل يمشي قائماً منتصباً على رجليه، ويأكل بيديه بخلاف غيره من المخلوقات التي تمشي على أربع وتأكل بفمها، وجعل له سمعاً وبصراً وفؤاداً يفقه بذلك كله وينتفع، ويفرّق بين الأشياء ويعرف منافعها وخواصها ومضارها في الأمور الدنيوية والدينية[٣].

المستصفى/ للغزالي (٢/ ٣٧)، شرح تنقيح الفصول/ للقرافي/ ص١٨٠، نهاية السول/ للأسنوي (٢/ ٨٠)، جمع الجوامع/ لابن السبكي (١/ ٤١٣)، شرح الكوكب المنير / لابن النجار (٣/ ١٥٨)، إرشاد الفحول / للشوكاني (٢/ ٣٨٦).

(١) التفسير الكبير / للرازي (٢١/ ٣٧٣) .

(٢) التين / ٤.

(٣)ينظر تفسير القرآن العظيم / لابن كثير / (٥ / ٩٧) .

ب- أما التميز التكريمي الفردي فمنه :

١) قوله تعالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[١].

وجه الدلالة : تدل الآية على أن الله تعالى اختص موسى عليه السلام وشرّفه وميّزه، وخاطبه مخاطبة من غير واسطة، وأكد الله تعالى الفعل بالمصدر، وذلك في الأغلب مبني على تحقيق الفعل ووقوعه، وأنه خارج عن وجوه المجاز والاستعارة، وأن موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا شك؛ لان افعال المجاز لا تؤكد بالمصادر[٢].

٢) قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[٣].

وجه الدلالة : تدل الآية الكريمة دلالة واضحة على أن الله حفظ القرآن وهذا تميز له، لم يكن لأي كتاب سماوي، وأكد قوله تعالى : ﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[٤][٥] ذلك الحفظ حيث نفى عنه أن يأتيه الباطل، فمنذ نزول القرآن وإلى ما شاء الله

---

(١) النساء / ١٦٤.

(٢) ينظر المحرر الوجيز / لابن عطية/ تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد (٢/ ١٣٧)، لباب التأويل في معاني التنزيل/ للخازن/ تحقيق : محمد علي شاهين (١/ ٤٤٩) .

(٣) الحجر / ٩.

(٤) فصلت / ٤٢.

(٥) التحرير والتنوير (١٥/ ١٦٦) .

لن يزاد حرف في كتاب الله ولن ينقص منه حرف، وهذا فضلٌ من الله ومنٌ وكرم على أمة محمد ﷺ أن ميَّزها بكتاب محفوظ باق، ومنّ وكرم لكل مسلم يسير على نهج هذا القرآن ويطبقه، فكان تميّز القرآن فردياً وجماعياً، تميّز فردي؛ لأنه الكتاب المحفوظ الذي يشرف ويتميّز به كل مسلم، وكان تميّز القرآن جماعياً ؛ لأن بحفظه تميّزت أمة محمد على غيرها بأن جعل الله قرآنها محفوظاً، بل ولسانها محفوظ أيضاً بحفظ الله لكتابه، فأصبحت أمة متميّزة بحفظ كتابها ولسانها فالحمد لله على ذلك الفضل العظيم.

المطلب الثاني
دلالة القرآن على التميّز الطلبي

فضل الله عظيم على عباده، وبابه عزّ وجل مفتوح ليلاً ونهاراً، وما على العبد سوى أن يدعو الله بما تهفو إليه نفسه، وتطمح إليه إرادته، وسيأتيه من العزيز الكريم عطاء وكرم لم يكن يتوقعه أو يتصوره، ولقد ضرب نبي الله سليمان عليه السلام مثالاً في نوع خاص من الدعاء، وهو دعاء الله عزّ وجل بفضل يميّزه عن غيره من عباده فقال : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[1].

وجه الدلالة : في هذه الآية يطلب سليمان عليه السلام من الله عز وجل أن يغفر له، وأن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، ومن ذلك يتضح أن سليمان عليه السلام أراد أن يهبه الله تميّزاً لا يكون إلا له فآتى الله سبحانه وتعالى سليمان عليه السلام من الملك ما لم يؤت بشراً، حيث سخّر له الريح تجري بأمره طيّعة مع قوتها وشدّتها حيث أراد[2]، وسخّر له الجن فكان عليه السلام لديه القدرة على حبسهم عندما لا يطيعون أمره، لذلك كانوا يستجيبون لأوامره يبنون له القصور والتماثيل، والأواني والقدور الضخمة، وكانت تغوص له في أعماق البحار وتستخرج اللؤلؤ والمرجان والياقوت[3].

---

(١) ص / ٣٥.

(٢) ينظر التفسير الميسر/ ص ٤٥٥.

(٣) ينظر تفسير المراغي (٣/ ١٢١).

وسؤال سليمان الله عز وجل أن يهبه ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده ليكون محله وكرامته من الله ظاهراً في خلق السماوات والأرض، فإن الأنبياء عليهم السلام لهم تنافس في المحل عنده، فكل يحب أن تكون له خصوصية يستدل بها على محله عند الله، ولهذا لما أخذ النبي ﷺ العفريت الذي أراد أن يقطع عليه صلاته، وأمكنه الله منه أراد ربطه ﷺ، ثم تذكر قول أخيه سليمان: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ فردّه خاسئاً، فلو أعطي أحد بعده مثله ذهبت الخصوصية، فكأنه كره ﷺ أن يزاحمه في تلك الخصوصية(١).

ومما هو جدير بالذكر: أن سؤال سيلمان عليه السلام لله عزّ وجل أن يهبه ملكاً ينفرد به على غيره ، وقد ورث الملك من أبيه، وأمدّه الله بالقوة والتمكين فيه دلالة على طموح وعلو همّة سليمان عليه السلام حيث لم يكتفِ بالملك الذي ورثه، وأنما أراد ملكاً خاصاً به يتميّز به على الناس ولا يشاركه فيه غيره، ولقد حفظ رسول الله ﷺ لسليمان عليه السلام ذلك التميّز، وكره ﷺ مزاحمته فيه، ولا شك أن من يحفظ للمتميّز تميزه هو متميّز أيضا، فكان سليمان عليه السلام متميّزاً بطلبه التميّز من الله عزّ وجل، ورسول الله ﷺ متميّز ايضاً في حفظه لتميّز سليمان عليه السلام.

(١) ينظر تفسير القرطبي (٥/ ٢٠٥) .

المطلب الثالث
دلالة القرآن على التميز التحصيلي (السببي)

ميّز الله عز وجل الإنسان على سائر المخلوقات، وشاءت إرادته أن يميّز الناس بعضهم على بعض، وأكثر الناس تميّزاً هم الرسل عليهم السلام.

ولقد اختار الله تعالى رسله عليهم السلام واجتباهم لما يتصفون به من خصائص ومميّزات، فهم عليهم السلام مميّزون عن غيرهم بقوة شخصياتهم، وسموا أخلاقهم وآدابهم.

وأولوا العزم منهم متميّزون على غيرهم من الأنبياء في تحملهم أعباء التبليغ، وإيذاء أقوامهم لهم، وصبرهم على ذلك كله. وقد أمر الله رسوله ﷺ بالاقتداء بهم في صبرهم وتحملهم، فقال عز وجل : ﴿ فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾[1]، فهم الذين صبروا على المكاره والشدائد والأذى في سبيل القيام بأمر الله، وتبليغ رسالته للناس[2]، ولم يثنهم عن ذلك الأذى الذي يزداد، ولا المكاره الشداد.

وقد ذكرهم الله على التخصيص في قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾[3]، وفي قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ

---

(١) الأحقاف / ٣٥.

(٢)ينظر جامع البيان في تأويل القرآن / للطبري (٢٢ / ١٤٥) .

(٣) الأحزاب / ٧.

ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ﴾[1] ؛ لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولوا العزم من الرسل[2].

وبالنظر في الآيات القرآنية التي دلت على التميّز التحصيلي، يمكن القول بأن بعضاً منها دلّ على التميّز التحصيلي الفردي، وبعضاً منها دلّ على التميّز التحصيلي الجماعي.

أما النوع الأول : (التميّز التحصيلي الفردي) فمن الآيات التي دلت عليه ما يلي :

١- قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا ﴾[3].

وجه الدلالة : دلّت الآية الكريمة على تميّز نوح عليه السلام في دعوته لقومه، حيث لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وهو يدعوهم إلى الإيمان بالله بمختلف الطرق والأساليب، ويجادلهم حتى ملّوا من كثرة جداله، فقالوا : ﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن

(١) الشورى / ١٣.

(٢)معالم التنزيل / للبغوي / تحقيق : محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش (٦/ ٣٢٠) .

(٣) العنكبوت / ١٦.

كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[١]، فهم وصلوا إلى مرحلة أنهم تعبوا من مجادلته وهم جماعات، فكيف يكون تعبه عليه السلام وهو وحده ؟ والذين آمنوا به قلة قليلة، والكثرة على الشرك؟ [٢]، فحصل نوح عليه السلام على التميّز بصبره وعدم يأسه واستمراره في دعوة قومه، فكان من أولي العزم من الرسل بذلك الصبر العظيم.

فإن قيل : إن نوح عليه السلام قد حصل له شيء من اليأس عندما دعا عليهم وقال : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾[٣].

يجاب عن ذلك : بأن ذلك الدعاء دعاه نوح عليه السلام بعد أن أخبره الله بأنه لن يؤمن به إلا من قد آمن، حيث قال تعالى : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ [٤]، أي : عندما علم نوح عليه السلام وتيقن أن هؤلاء الكفار لن يؤمن منهم أحد إلا الذين آمنوا وهم قلة دعا عليهم[٥].

---

(١) هود / ٣٢.

(٢)ينظر إرشاد العقل السليم / لأبي سعود العمادي (٤ / ٢٠٥ – ٢١٥) .

(٣) نوح / ٢٦.

(٤) نوح / ٣٦.

(٥)ينظر تفسير القرطبي (٩ / ٢٨) .

٢- قولـــه تعـــالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١].

وجه الدلالة : تدل الآية الكريمة على تميّز إبراهيم عليه السلام في قوة محاجته للنمرود، حيث إن النمرود عندما قال له إبراهيم عليه السلام (إن الله يحيي ويميت) قال النمرود : (أنا أحيي وأميت)، وهذا عدول عن الحق، ونوع من المراوغات الجدلية التي تسلّح بها النمرود؛ ليحفظ ماء وجهه، وليفتن العامة بفعله هذا، وليضيّق على إبراهيم الخناق، ولكن ظهر تميّز إبراهيم عليه السلام وحكمته وذكاؤه، حيث لم يرد عليه السلام أن يسترسل في جدل حول معنى الإحياء والإماتة مع رجل يماري ويداور في تلك الحقيقة الهائلة، حقيقة منح الحياة وسلبها، ولكنه انتقل معه إلى حجة أخرى لا تجري فيها المغالطة، ولا يتيسر لكافر أن يخرج عنها بمخرج مكابرة ومشاغبة فقال : (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب) فما كان إلا أن بُهت الذي كفر[٢].

عليك السلام يا خليل الرحمن ألجمت ذلك المعاند الكافر الجاحد بلجام البرهان الساطع والدليل القاطع، الذي لا مجال فيه للمراوغة

---

(١) البقرة / ٢٥٨.

(٢) ينظر فتح القدير/ للشوكاني (١/ ٣١٨)، التحرير والتنوير/ محمد الطاهر بن عاشور (٣/ ٣٣).

والمعارضة، والدعوة الباطلة، وهذا عين التميّز والحكمة في المحاجة والحوار، فهذا النمرود يكابر وقد تنقل هذه المكابرة المناظرة إلى مراء لا يحسن برجل في مقام إبراهيم عليه السلام أن يخوض فيه.

إذ إن كثيراً من الحوارات التي تدور في زماننا تنقطع بالخروج عن الفكرة التي يُتحاور من أجلها إلى جزئيات لا يفيد الجدال فيها بشيء، فهل نتعلم من أبينا إبراهيم عليه السلام طريقة المحاجة و المناظرة لاسيما مع من يكابر و يعاند، ويدور ويراوغ.

٣- قوله تعالى :﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾[1].

وجه الدلالة : في هذه الآية تكريم وتميّز لخاتم الأنبياء والمرسلين حيث كرمه الله عزّ وجل أن أعطاه الكوثر[2]. وهو الخير الكثير في الدنيا والآخرة.

وإذا كانت الآيات السابقات قد بيّنت التميّز الذي حصل عليه الأنبياء عليهم السلام، وهو تميّز فرد أو شخص (تميّز فردي) فهناك التميّز التحصيلي للأمة أو الجماعة يدل على ذلك: الكوثر في الجنة، حيث أخرج البخاري بسنده عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن العباس أنه قال في الكوثر: (هو الخير الذي أعطاه الله إياه، قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير فإن ناساً يزعمون أنه نهر في الجنة، فقال سعيد :النهر الذي في الجنة من الخير

---

(١) الكوثر / ١.

(٢) قال القرطبي : الكوثر : مشتق من الكثير، على وزن فوعل، كلفظة نوفل المشتقة من النفل، وجوهر المشتقة من الجهر، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر كوثراً. الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٢١٦) .

الذي أعطاه الله إياه)[١]. وقد وصف رسول الله ﷺ حوض الكوثر بقوله : (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء من شرب منها فلا يظمأ أبداً)[٢].

قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[٣].

وجه الدلالة : الآية واضحة الدلالة في أن أمّة محمد ﷺ وهي آخر الأمم خير أمة أخرجت للناس، وحصلت على هذا التميّز، وهو الخيريّة بما تميّزت به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان الثابت بالله عز وجل.

ولا شك أن هذه المميّزات التي وجدت في أمة محمد ﷺ وتحققت وبقيت في أجيالها قرناً بعد قرن لم تتحقق في أمة من الأمم، فاستحقت تميّزها بالخيرية، " فهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس؛ لأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله وهذا هو الشرط في هذه الخيرية "[٤].

فبهذه الأمور الثلاثة العظيمة القدر كانت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس، وهذه الخيريّة باقية ومستمرة ما دام شرطها متحقق، وإن تفاوتت فيه الأجيال، قال ابن كثير: "إن هذه الآية عامة في جميع الأمة، كل قرن بحسبه،

---

(١) البخاري / كتاب التفسير / سورة أنا أعطيناك الكوثر / رقم الحديث ٤٩٦٦.

(٢) أخرجه البخاري عن عبد الله بن عمرو / كتاب الرقاق / باب في الحوض وقول الله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر)، (٦٥٧٩) .

(٣) آل عمران / ١٠١.

(٤)عمدة القارئ / لبدر الدين العيني (١٨ / ١٤٨) .

وخير قرونهم الذين بُعث فيهم رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[(١)].

فجدير أن ندرك أننا أمة متميّزة على سائر الناس بشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان الراسخ الثابت، وعلينا مسؤولية عظيمة وهي القيام بهذه الشعيرة، والعمل على نشرها وانتشارها.

وما يقوم به بعض المفسدين من محاولات للتضييق على هذه الشعيرة، وعلى القائمين عليها هم أعداء الأمّة، وأعداء التميّز لهذه الأمة.

(١) تفسير القرآن العظيم (٢ / ٩٤) .

المبحث الثاني
دلالة السنة النبوية على التميّز

من منزلة السنة النبوية الشريفة أنها زاخرة بكل ما ينفع البشرية ويساهم في تقدمها وتميّزها، ولا يوجد جانب من جوانب الحياة المتنوعة إلا ودلت عليه وأشارت إليه.

ويعتبر التميّز من الجوانب التي اهتمت بها السنة النبوية، حيث ورد عن سيدنا رسول الله ﷺ أقوال في هذا الشأن.

وبالنظر في الأحاديث التي دلت على التميّز يمكن تصنيف التميّز الذي ورد فيها إلى :

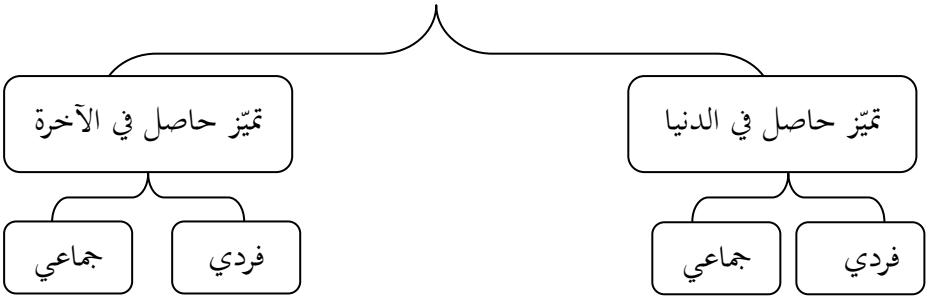

ومما هو جدير بالذكر أن السنة النبوية لم تدل على التميّز الدنوي والآخروي فحسب بل وأخبرتنا عن تميّز كان في الماضي، و تميّز في زمن وحياة رسول ﷺ، و تميّز سيكون في المستقبل.

وإخبار السنة عن تميّز سيأتي في المستقبل دليل قاطع، على إعجاز السنة النبوية، وبرهان ساطع على أنها وحي من عند الله عز وجل.

وهذا المبحث سيتناول دلالة السنة على التميّز في مطلبين:

الأول: دلالة السنة على التميّز في الدنيا (التميّز الفردي، التميّز الجماعي).

الثاني: دلالة السنة على التميّز في الآخرة (التميّز الفردي، التميّز الجماعي).

المطلب الأول
دلالة السنة النبوية على التميّز في الدنيا

احتوت سنة النبي ﷺ على أحاديث دلت على تميّز حصل في الدنيا، وذلك التميّز منه ما كان تميّزاً لفرد على غيره، ومنه ما كان لأمة أو جماعة.

أما الأحاديث التي دلت على **التميّز الفردي** فمنها:

١- حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ ناساً، أعطى الأقرع مئة من الإبل، وأعطى عيينه مثل ذلك، وأعطى أناساً، فقال رجل: ما أُريد بهذه القسمة وجه الله، فقلت: لأخبرن النبي ﷺ، قال ﷺ: (رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر) [(١)].

وجه الاستدلال :

في قوله ﷺ : (رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر) إشادة منه ﷺ بتميّز موسى عليه السلام في صبره على قومه، وتحمله لهم، حيث أُرسل في قوم يحكمهم فرعون الذي جعل من نفسه رباً أعلى، وفرض عبادته على بني إسرائيل، وعندما انتقم الله منه بإغراقه في البحر لم ينتهِ الأذى بموسى عليه السلام بل واجه من قومه الذين امنوا به المعاندة والمكابرة، وكثرة الجدل، والتملص من التكليفات، وكثرة التبرم، وعدم الرضا عن موسى وعن رب موسى، بل وصل الأمر بهم أن تركوا عبادة الله إلى عبادة العجل عندما ذهب موسى عليه السلام

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب المغازي/ باب غزوة الطائف (٤٣٣٦).

لميقات ربه فما أن عاد بعد أربعين ليلة فقط -وهي مدة قصيرة- وإذا بالقوم قد عبدوا العجل وعصوا أخاه هارون عليه السلام الذي تركه فيهم.

أين هؤلاء المتذبذبين في إيمانهم القريب كفرهم من أمة محمد ﷺ الذين ثبتوا على إيمانهم وطاعتهم لله ورسوله، وبعد أن انتقل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى ومر على ذلك أكثر من ألف وأربعمائة عام و مازالت أمته تتبعه وتحبه، وتذرف الدمع شوقاً لرؤيته ولقائه في الجنة، ما أعظمها من أمة لا تقارن بأي أمة من الأمم.

وكون أمة محمد ﷺ خير الأمم وأسرع الأمم استجابة للحق وثباتاً عليه لا يعني ذلك أن رسول الله ﷺ لم يجد مشقة وأذى في دعوته إلى الله، وما قوله (رحم الله موسى..) إلا دليل على ما يجد في نفسه ﷺ من الألم والأذى والمعاناة، وهو ﷺ الذي كلفه الله بدعوة الناس كافة ولقي في سبيل ذلك اشد المعاناة، ووجد التكذيب والأذى، وقد سألت السيدة عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال : (لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة[1] إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على

(١) يوم العقبة : هو اليوم الذي وقف فيه النبي ﷺ عند العقبة بمنى داعياً الناس إلى الإسلام وإلى رب العالمين، فما أجيب إلا بالأذى، وذلك اليوم أصبح معروفاً. ينظر البداية والنهاية / لعماد الدين البصري / تحقيق : علي شيري (١/ ٥١)، وعمدة القارئ (١٥/ ١٤٢) .

وجهي، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب[١]، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال؛ لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلّم علي، ثم قال : يا محمد فقال : ذلك فيما شئت إن شئت أطبق عليهم الأخشبين[٢]، فقال النبي ﷺ : (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئاً) [٣].

ويتبين من إجابته ﷺ لعائشة رضي الله عنها ملامح شخصيته المتميزة الفذّة الفريدة، وما كان عليه من الخلق العظيم في صبره وتحمله، وحلمه عليهم، وشفقته بهم، فلم يدعُ عليهم رغم معاناته وإذاقتهم له ألوان العذاب، وإنما جاهد بالله حق جهاده، وبلغ الذروة والقوة في كل المجالات، والتميز في تحمله لشتى المسؤوليات مما لا يستطيع أحد أن يتحملها[٤].

---

(١) قرن الثعالب : هو قرن المنازل، ميقات أهل نجد، وقال الحسن بن محمد المهلبي : قرن قرية بينها وبين مكة أحد وخمسون ميلاً، وهي ميقات أهل اليمن، بينها وبين الطائف ذات اليمين ستة وثلاثون ميلاً. ينظر معجم البلدان / ياقوت الحموي (٤/ ٣٣٢) .

(٢) الأخشبان : تثنية الأخشب، وهو كل جبل خشن غليظ الحجارة، والأخشبان جبل تارة يضافان إلى مكة، وتارة إلى مناء. ينظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٢ / ٣٢)، معجم البلدان (١ / ١٢٢) .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه / كتاب : بدء الخلق / باب : ذكر الملائكة (٣٢١٥)، وصحيح مسلم / كتاب: الجهاد والسير / باب : ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين (٤٧٥٤) .

(٤) ينظر فتح الباري (٦ / ٣١٦)، الرحيق المختوم / المباركفوري / ١٠٠.

٢- قوله ﷺ: (ما من بني آدم مولود إلا يمسه الشيطان حين يُولد، فيستهل صارخاً من مس الشيطان غير مريم وابنها. ثم يقول أبو هريرة : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[1] [2].

وجه الاستدلال :

ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث ما تميّز به عيسى عليه السلام وأمّه، وهو : أن كل مولود يمسه الشيطان إلا عيسى وأمه عليهما السلام، واختار القاضي عياض (المتوفى سنة ٥٤٤ هـ) : أن جميع الأنبياء يتشاركون فيها[3].

وقوله هذا مرجوح، فإن الحديث واضح الدلالة في اختصاص عيسى وأمّه عليهما السلام بهذا التميّز دون غيرهما، حيث ورد اللفظ في الحديث عاماً (ما من بني آدم مولود) فمولود : نكرة في سياق النفي، فهي تفيد العموم قطعاً، ويكون الاستثناء إخراج لعيسى وأمّه عليهما السلام، ويبقى ما عداهما على عموم الحديث.

قال العلماء : النكرة في سياق النفي تفيد العموم ظاهراً إذا لم يكن حرف مِنْ، فإن دخل عليها حرف مِنْ أفادته قطعاً، ولم تحتمل التأويل، كقول : ما رأيت من رجل، وما جاءني من أحد[4].

---

(١) آل عمران / ٣٦.

(٢)أخرجه البخاري في صحيحه / عن أبي هريرة / كتاب أحاديث الأنبياء / باب : قول الله تعالى : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴾ (٣٤٣١)، ومسلم / كتاب: الفضائل / باب : فضائل عيسى (٦٢٨٢) .

(٣) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم (١٥ / ١٢٠) .

(٤)ينظر المسوّدة لآل تيمية / ص ١٠٣، روضة الناظر(٢/ ٦٨٧)، شرح تنقيح الفصول/ ص١٨٢، الإبهاج في شرح المنهاج/ للأسوني (٢/ ١٠٦) .

٣- قوله ﷺ: (بعثت بجوامع الكلم[١]) [٢].

وجه الاستدلال : بيّن ﷺ أن الله بعثه بجوامع الكلم، فجمع الله له المعاني الكثيرة في ألفاظ يسيرة، وهذا من جوانب تميّز نبي الرحمة ﷺ؛ حيث يأتي بالكلام القليل الموجز الذي يحوي معاني كثيرة وعظيمة؛ وذلك ليسهل على الناس حفظه، ولا يشق عليهم حمله وتبليغه، وكل هذا من الحفظ الذي تكفل الله به لهذا الدين.

فجدير بنا : أن نترك تطويل الكلام الذي لا مبرر له، وأن نحاول أن نختصر في خطاباتنا وتقاريرنا، وفي بحوثنا ودراساتنا، كم من البحوث التي

---

(١) جوامع الكلم : الاختصار المفيد، الناطق بالحكمة، الجامع لأطراف الموضوع، كما قال ابن الأثير رحمه الله.

والمراد بذلك أنه : أوتي الكلم الجوامع للمعاني.

وقد استحسن الفصحاء جوامع الكلم، وقرروا أن البلاغة إيجاز، كما قال أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين : " قيل لبعضهم لمَ لا تطيل الشعر ؟ فقال : حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق، وقيل ذلك لآخر فقال : لست أبيعه مذارعةً، وقيل للفرزدق : ما صيّرك إلى القصائد القصار بعد الطوال ؟ فقال : لأني رأيتها في الصدور أوقع، وفي المحافل أجول، وقالت بنت الحطيئة لأبيها : ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ فقال : لأنها في الآذان أولج، وبالأفواه أعلق.

ينظر الصناعتين / تحقيق : علي محمد البيجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم/ ص ١٧٣- ١٧٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه / عن أبي هريرة / كتاب الجهاد والسير/ باب قول النبي ﷺ: نصرت بالرعب مسيرة شهر (٢٩٧٧).

ضعفت قوتها بسبب طولها المخل ؟ ! وكم من الدراسات التطويرية ونحوها التي - أحياناً – لا تفهم بسبب طولها وكثرة الكلام المحشو فيها.

فما أجمل أن نتبع رسول الله ﷺ في كلامنا وكتاباتنا !

٤- قوله ﷺ: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة)[(١)].

وجه الاستدلال : الحديث واضح الدلالة في اختصاص وتميّز رسول الله ﷺ بتلك الأعطيات الخمس، ونال هذه الأمة ببركة هذا النبي الكريم شيء من هذه الفضائل والمكارم، وهذه الخمس المذكورة التي ميّز الله بها نبيه ﷺ كلها في الدنيا ما عدا الشفاعة، فهي في الآخرة.

٥- قوله ﷺ: (أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأقرأهم لكتاب الله أبيّ بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أمين، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه / عن جابر بن عبدالله / كتاب : المساجد ومواضع الصلاة (١١٩١) .

(٢) أخرجه الترمذي في سننه / عن أنس بن مالك / كتاب : المناقب عن رسول الله / باب : مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأبي عبيدة بن الجراح ﷺ (٣٧٩١) قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح، وقال شعيب الأرنؤوط :

وجه الاستدلال : يعلّمنا رسول الله ﷺ في الحديث السابق أن نحفظ للناس حقهم وتميّزيهم وتفوقهم ، ويكفي للتميّز أن يبرز الإنسان على الآخرين في جانب من جوانب الحياة ، وهذا ما دلّ عليه الحديث السابق ، حيث اكتشف ﷺ تميّز أبي بكر بالرحمة ، وعمر بالشدّة في الحق، وعثمان بالحياء ، وأبيّ بقراءة القران ، وزيد بعلم الفرائض ، ومعاذ بفقهه بالحلال والحرام ، وأبي عبيدة بالأمانة من خلال ملاحظته ﷺ لما يصدر منهم من أعمال.

ورغم أن هذه الصفات مشتركة بين هؤلاء الصحابة ﷺ وغيرهم إلا أن النبي ﷺ لاحظ أن كل واحد منهم تميّز بقدر زائد في صفة مميزة لشخصيته ، وبها بانو على سائر الناس ، وعُرفو بها إلى يوم القيامة[1].

يتضح مما سبق أن السنة النبوية دلت على التميّز الذي يخص الأفراد سواء كانوا أنبياء أو دونهم.

وكما دلت السنة على التميّز الفردي دلت على **التميّز الجماعي**، ومما ورد عن رسول الله ﷺ في ذلك ما يلي :

١- قوله ﷺ (فُضّلنا على الناس بثلاثة ، جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً ، وجعلت تربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء)[2].

إسناده صحيح على شرط الشيخين. حاشية مسند أحمد / تحقيق شعيب الأرنؤوط (٣ / ١٨٤) ١٢٩٢٧.

(١) ينظر فتح الباري / لابن حجر (٧ / ٩٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه / عن خذيفة بن اليمان / كتاب المساجد (١١٩٣).

وجه الاستدلال : يدل الحديث على أن الله فضل أمّة محمد وجعلها متميّزة على غيرها من الأمم بأن جعل صفوفها كصفوف الملائكة ، وجعل لها الأرض مسجداً وطهوراً.

وهذا من التميّز الجماعي؛ حيث تميّز بذلك أمّة كاملة ، وهي أمّة خير المرسلين .

٢- قولهﷺ : (أتاكم أهل اليمن ، أضعف قلوباً ، وأرق أفئدة ، الفقه يمان ، والحكمة يمانية) [(١)].

وجه الاستدلال : بيّن الحديث السابق ما يتميّز به أهل اليمين من ضعف القلوب ، وهو عبارة عن السلامة من الغلظة والشدة والقسوة التي قد توصف بها قلوب الآخرين ، والاستكانة وسرعة الإيجاب، والتأثر بقوارع التذكير، وأشاد ﷺ بتميّزهم بالفقه أي الفهم بالدين، وإدراك الأحكام الشرعية العملية بالاستدلال على أعيانها، وتميّزهم بالحكمة[(٢)].

٣- قوله ﷺ : (خير نساء ركبن الإبل صالحوا نساء قريش أحناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يديه) [(٣)].

وجه الاستدلال : بيّن رسول الله ﷺ : أن نساء قريش تميّزن على نساء العرب بميزتين جعلتهن جديرات بالتميّز على غيرهن ، وهما : حنوهن على

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه / عن أبي هريرة/ كتاب المغازي / باب قدوم الأشعريين (٤٣٩٠).

(٢) ينظر عمدة القاري / بدر الدين العيني (٢٦ / ٢٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه / عن أبي هريرة / كتاب النكاح / باب إلى من ينكح وأي النساء خير وما يستحب أن يتخير لنطفة من غير إيجاب (٥٠٨٢).

أولادهن ، ومراعاتهن لأزواجهن بحفظ أموالهم، وإنما ذلك لكرم نفوسهن ، وقلة غائلتهن لمن عاشرهن، وطهارتهن من مكايدة الأزواج ومشاحنتهن[١].

٤- ما روي عن أبي هريرة ﷺ قال : ما زلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت من رسول الله ﷺ يقول فيهم سمعته يقول : (هم أشد أمتي على الدجال، وجاءت صدقاتهم فقال النبي : هذه صدقات قومنا ، قال : وكانت سبية منهم عند عائشة فقال رسول الله ﷺ أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل)[٢].

وجه الاستدلال : بيّن الحديث أن بني تميم أشد الأمّة على الدجال في بيان زيفه وظلاله، وفي قتاله و محاربته، وذلك شرف وتميّز، " وفضيلة ظاهرة لبني تميم"[٣].

وإخبار السنة عن تميّز لم يحصل بعد دليل على إعجاز السنة وأنها وحي من عند الله حيث اخبر النبي ﷺ عن تميّز سيكون عند ظهور الدجال، وقوله ﷺ هو وحي من عند الله ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾[٤].

---

(١) ينظر شرح صحيح البخاري / لابن بطال (٧/ ١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه/ كتاب العتق/ باب عتق المشرك (٢٥٤٣)، ومسلم في صحيحه/ كتاب فضائل الصحابة/ باب فضائل غفار وأسلم .... (٢٥٢٥) .

(٣) فتح الباري (٥/ ١٧٣).

(٤) النجم (٣-٤) .

المطلب الثاني
دلالة السنة النبوية على التميّز في الآخرة

إن من عظمة هذه السنة أن ذكرت لنا تميّز يحصل في الآخرة، وكما أن التميّز الذي يحصل في الدنيا منه ما هو فردي، ومنه ما هو جماعي فكذلك التميّز الذي يكون في الآخرة منه الفردي، ومنه الجماعي.

أ) التميّز الآخروي الفردي:

أما التميّز الخاص بالفرد فقد دلت السنة عليه بالأحاديث التالية :

١- قوله ﷺ: (أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة)[(١)]، وقال : (أنا أول شفيع في الجنة ،لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته ألا رجل واحد)[(٢)].

وجه الاستدلال : في الحديثين السابقين دلالة على أن رسول الله ﷺ هو أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وهذا تميّز له ﷺ ويلزم من هذا التميّز تميّز لأمته فهم أكثر الأمم استجابة للإسلام وثباتاً عليه، وأنها أكثر الأمم اتباعاً للحق، واعتناقاً لشريعة الله، وهذه علامة الخير والرشد والتميّز لرسول الله ﷺ ولأمته، ومما يتميّز به رسول الله ﷺ في الآخرة أنه أول شفيع في الجنة، وأول من يدخلها، وفي ذلك تفضيل وتكريم وتميّز له ﷺ على غيره من الأنبياء عليهم السلام.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك / كتاب الأيمان / باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٥٠٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك / كتاب الأيمان / باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (٥٠٦).

٢- قوله ﷺ : (حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً)[١].

وجه الاستدلال : دلّ الحديث الشريف على تكريم الله عز وجل لرسوله ﷺ أن جعله صاحب الحوض المورود، وهذه من المنح الإلهية التي جعلته متميّزاً على غيره من الأنبياء؛ حيث نسب الحوض إلى نفسه (حوضي) وفي ذلك على أنه تميّز وتشريف وتفضيل واختصاص له على سائر الأنبياء والمرسلين.

ب) التميّز الآخروي الجماعي:

وكما دلت السنة على تميّزه ﷺ في الآخرة، دلت على تميّز أمّته فيها (تميّز جماعي) ومن ذلك :

١- قوله ﷺ : (إن حوضي أبعد من أيلة[٢] من عدن، لهو أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه، كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا : يارسول

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عمرو/ كتاب الرقاب/ باب في الحوض وقول ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ (٦٥٧٩).

(٢) أيلة : بالفتح مدينة على ساحر البحر الأحمر، وقيل : هي اخر الحجاز وأول الشام، وقيل : البلد المعروف فيما بين مصر والشام.
ينظر معجم البلدان / ياقوت الحموي (١/ ٢٩٢, ٣٤٤)

الله أتعرفنا يومئذ؟ قال: نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم تـردون علـي غرا محجلين[١] من أثر الوضوء)[٢].

وجه الاستدلال : دلّ الحديث على أن رسول الله ﷺ يعرف أمته يـوم القيامة إذا كانوا على حوضه بسمة تميّزهم عن غيرهم من الأمم، وهـي كمـا بيّن الحديث أنهم يأتون غراً محجلين من أثر الوضوء.

والحديث يحث على إسباغ الوضوء، وتطويل الغـرة والتحجيـل، أمـا تطول الغرة : فهو غسل شيء من مقدم الرأس وما يجـاوز الوجـه زائـد عـن الجزء الذي يجب غسله، وأما التحجيل : فهو غسل ما فوق المرفقين والكعبين ، فالغرة والتحجيل الناشئين عن الوضوء من مميـزات هـذه الأمـة زادهـا الله تعالى شرفا[٣].

٢- قوله ﷺ : (يدعى نـوح يـوم القيامـة فيقـول : لبيـك وسـعديك يارب، فيقول : هـل بلغـت ؟ فيقـول : نعـم، فيقـال لأمّتـه : هـل بلغكـم ؟ فيقولون : ما أتانا من نذير، فيقول : من يشـهد لـك، فيقـول : محمـد وأمّتـه، فتشهدون أنه قد بلّغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا، فذلك قوله جـلّ ذكـره

---

(١) غراً محجلين : أي بيض مواضع الوضوء من الأيدي والوجوه والأقدام، واستعار اثـر الوضوء في الوجه واليدين والـرجلين للأنسـان مـن البيـاض الـذي يكـون في وجـه الفرس ويديه ورجليه، النهاية في غريب الحديث/ ابن الأثير (١/ ٣٤٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة / كتاب الطهارة / بـاب اسـتحباب إيطالـة الغرة والتحجيل في الوضوء (٦٠٤) .

(٣) ينظر شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ١٣٤) ، عمدة القاري (٢/ ٢٥٠).

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1].

وجه الاستدلال : دلّ الحديث على جانب من جوانب تميّز أمّة محمد ﷺ ، وما امتنّ الله به من فضل على رسوله و أمّته؛ حيث جعل الله أمته تشهد على الناس جميعاً، فتقيم بينهم العدل والقسط و تضع لهم الموازين والقيم، وتبدي فيهم رأيها، فيكون هو الرأي المعتمد.

وبينما هي تشهد على الناس بذلك فإن الرسول ﷺ هو الذي يشهد عليها، فيقرر لها موازينها وقيمها ، ويزن ما يصدر عنها ويقول فيه الكلمة الأخيرة ، وبهذا تتحد حقيقة هذه الأمة ووظيفتها لتعرفها ولتشعر بضخامتها، ولتقدّر دورها حق قدرة، وتستعد له استعدادا لائقاً[2].

٣- قوله ﷺ: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غداً، والنصارى بعد غد[3].

وجه الاستدلال : يدل الحديث على أن أمّة محمد " هم الآخرون في الزمان والوجود في الدنيا، السابقون بالفضل و دخول الجنة، فتدخل هذه

---

(١) البقرة / ١٤٣.

(٢) ينظر في ظلال القرآن / سيد قطب (١/ ١٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة / كتاب الجمعة / باب فرض الجمعة (٨٧٦).

الأمّة الجنة قبل سائر الأمم "[١] وفي ذلك تميّز لها وتفضيل، ولما تخيرت اليهود السبت، والنصارى الأحد، وهدانا الله ليوم الجمعة وهي سابقة لليومين سبقناهم في الدنيا، ونسبقهم في الآخرة[٢].

يتضح فيما سبق: أن الله عزّ وجل ميّز أمّة محمد ﷺ بمميزات فكانت أمّة متميّزة على الأمم في الآخرة بالإضافة إلى تميّزها الذي حصلت عليه في الدنيا لم يكن لأمّة غيرها، وهذا يحتم على الأمّة اليوم أن تسعى جاهدة نحو طريق يبرز تميّزها وتألّقها على غيرها من الأمم، بتمسكها بكتاب الله وسنة رسوله.

وما تأخر الأمّة اليوم إلا بسبب أنها تخلت عن منهج الله، واتخذت لها مناهج مختلفة، واصطبغت بصبغات شتى أبعدتها عن المنهج والمعين الصافي.

طال زمان التأخر والتخلف، وآن الأوان أن تتقدم الأمّة، فإنه من غير اللائق أن تكون الأمّة المتميّزة تابعة لغيرها، تأثّرها أكثر من تأثيرها ، وشأن المتميّز أن يكون تأثيره أعظم من تأثّره.

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم (٦/ ١٤٢) .

(٢) ينظر كشف المشكل من حديث الصحيحين / لابن الجوزي / تحقيق علي حسين البواب (١/ ٩٥٥).

الخاتمة

الحمد الله الذي بنعمة تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من تميّز على جميع المخلوقات، سيدنا ونبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.

في ختام هذا البحث التأصيلي للتميّز، وبعد عرض لبعض الأدلة التي دلت عليه من القرآن والسنة يمكن استخلاص النتائج التالية :

١- أن التميّز هو اختصاص إنسان أو جماعة أو أمة بصفات القوة معنوية أو مادية، بحيث يظهر في ذلك الاختصاص ولا يشابهه فيه احد، سواء كان ذلك الاختصاص ذاتياً أو غير ذاتي.

ويطلق التميّز على القدرة العالية على القيام بفعل أو قول يفوق الآخرين.

٢- أن التميّز قد يكون تكريماً من الله ، كتكريمه لبني آدم، وتكريمه لموسى عليه السلام، أن كلّمه فكان كليم الله.

وقد يكون التميّز طلبيا أي يطلبه العبد من الله، كدعاء سليمان ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴾[1].

وقد يكون التميّز تحصيلياً وهو ما يكون نتيجة لما يقوم به الإنسان من مجهود زائد عن الآخرين بحيث لا يستطيع أحد أن يجاريه أو يقاربه، كتميّز زيد بن ثابت رضي الله عنه بعلم الفرائض، ومعاذ بن جبل رضي الله عنه بعلم الحلال والحرام، أو ما

---

(١) ص/ ٣٥.

يتحلى به من فضائل تجعله يتميّز على من سواه، مثل رحمة أبـي بكـر، وحيـاء عثمان، وأمانة أبي عبيدة ﷺ

٣- دلّ القرآن الكريم على التميّز التكريمـي في قولـه تعـالى :﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1].

وعلى الطلـبي في قولـه :﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[2].

وعلـى التحصـيلي في قولـه :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[3].

٤-دلت السنة النبوية على تميّز يحصل عليه الإنسان في الـدنيا، وتميّـز آخر يكون في الآخرة، وكل منهما قد يكون فردياً، وقد يكون جماعياً.

والتميّز الدنيوي منه ما كان في الماضي، كتميّـز عيسـى عليه السلام بولادتـه؛ حيث لم يمسه الشيطان، ومنه ماكان في حياة رسول الله ﷺ، كتميّز الصحابة ﷺ بالعلم والأخلاق الفاضلة، ومنه ما سيكون في المستقبل، كتميّز بني تمـيم علـى غيرهم في شدتهم على الدجال.

---

(١) الإسراء/ ٧٠.

(٢) ص / ٣٥.

(٣) آل عمران / ١١٠.

- التميّز الدنيوي الفردي دلت عليه السنة النبوية، منه ما كان لنبي هذه الأمّة ﷺ، ومنه ما كان للأنبياء عليهم السلام، ومنه ما كان لبعض صحابة رسول الله ﷺ.

- التميّز الدنيوي الجماعي : منه ما ميّز الله به أمّة محمد ﷺ من أحكام في الدنيا، وهذا تميّز دائم مادامت أمّة محمد ﷺ على وجه الأرض، وهناك نوع آخر ذكرته السنة وهو تميّز جماعة أو أهل بلد بوصف أو حال يظهر فيهم أكثر من غيرهم، كتميّز أهل اليمن برقة أفئدتهم وضعف قلوبهم وحكمتهم، ومنه تميّز يأتي في آخر الزمان، مثل إخباره ﷺ بأن أشد الأمة على الدجال بنو تميم.

- التميّز الآخروي الفردي: وهذا لا يكون إلا لرسول الله ﷺ مثل : تميّزه بأنه أول من يقرع باب الجنة، و أول شافع و أول مشفع، وصاحب الحوض ..

- التميّز الآخروي الجماعي : وهذا لا يكون إلا لأمّة محمد ﷺ مثل : أنها الأمة التي تشهد على الأمم، وأنها أول من يدخل الجنة.

التوصيات

١- ضرورة الاهتمام بالمتميّزين عموماً، وبالمتميّزين في العلم خصوصاً، فإنه مما لا شك فيه أنه ما زال لدينا تقصير في هذا الجانب، وبكل أسف سبقنا الغرب وتفوق علينا بسبب اهتمامه ورعايته للمتميّزين ولا سيما بالعلم.

٢- تشجيع الأبحاث والدراسات التي تعنى بتميّز الأنبياء عليهم السلام، وتميّز خاتم الانبياء ﷺ، وجوانب التميّز التي كانت في شخصياتهم عليهم السلام.

٣- الاهتمام ببيان ما تتميّز به أمة محمد ﷺ في هذه الحياة، وما تتميّز به يوم القيامة، فإن ذلك مما يعزز الهوية، ويعمق الانتماء والولاء لها.

٤- بقاء المتميّزين مع العاديين يقتل التميّز لديهم، ولذلك ينبغي جمع المتميزيّن في مجموعة خاصة لتنمية جانب التميّز فيهم.

٥- المتميّزون ثروة لا تقدر بثمن، ينبغي الاهتمام بهم ورعايتهم، فعليهم وبهم تنهض الأمم، ويقضى على الظلم والفساد والاستبداد.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم.

١. أحمد بن ادريس القرافي شهاب الدين، شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول، للإمام حققه : طه عبدالرؤوف سعد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت –لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ ١٩٧٣ م.

٢. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق : محب الدين الخطيب، دار المعرفة – بيروت.

٣. أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق : عبد السلام هارون، دار الفكر، الطبعة ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.

٤. أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة وطبعة مصطفى البابي القاهرة - مصر، الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٥. أديب محمد، سيكولوجية الفروق الفردية والتفوق العقلي، دار وائل، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ م.

٦. إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء،

- تفسير القرآن الكريم، تحقيق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.

- البداية والنهاية، تحقيق : علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٧. آل تيمية، المسودة في أصول الفقه، جمعها وبيضها : شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الحراني الدمشقي (المتوفى

سنة ٧٤٥ هـ)، تقديم : محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة المدني القاهرة.

٨. حسن العطار، حاشية العطار على جمع الجوامع على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع للإمام بن السبكي، وبهامشه تقرير العلامه الشيخ عبدالرحمن الشربيني على جمع الجوامع لابن السبكي، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان

٩. الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، تحقيق : محمد عبدالله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطبعة الرابعة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

١٠. سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني أبو داوود، سنن أبي داوود بحاشيته عون المعبود، دار الكتابة العربي.

١١. سليمان بن خلف الباجي أبو الوليد، إحكام الفصول في أحكام الأصول، تحقيق : د. عبدالله محمد الجبوري، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م.

١٢. صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الرابعة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

١٣. عبد الرحمن بن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق : علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض، طبعة ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.

١٤. عبد الرحيم بن الحسن الأسنوي الشافعي، نهاية السول في شرح منهاج الأصول للبيضاوي، ومعه حواشيه المسماة سلم الوصول لشرح نهاية السول للشيخ محمد بخيت المطيعي، عالم الكتب.

١٥. عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه المقدسي موفق الدين، روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، قدم له وحققه : د. عبدالكريم النملة، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الطبعة السادسة ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.
١٦. عبد الملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، البرهان في أصول الفقه، حققه وقدمه ووضع فهارسه : د. عبدالعظيم محمود الديب، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة، الطبعة الثالثة ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
١٧. علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، شرح صحيح البخاري، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد السعودية – الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.
١٨. علي بن عبد الكافي السبكي، وولده تاج الدين عبدالوهاب بن علي السبكي، الإبهاج في شرح المنهاج على منهاج الأصول إلى علم الأصول، للقاضي البيضاوي، كتب هوامشه وصححه : جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.
١٩. علي بن محمد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق : د. سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، الطبعة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م.
٢٠. علي بن محمد بن نظام الدين الأنصاري، فواتح الرحموت شرح مسلم الثبوت، (مطبوع مع المستصفى للغزالي)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢١. المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٢٢. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية، تونس – ١٩٨٤.
٢٣. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق : محمود خاطر، مكتبة لبنان – بيروت، طبعة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢٤. محمد بن أحمد القرطبي أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب – الرياض، طبعة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٥. محمد بن أحمد بن عبدالعزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار، شرح الكوكب المنير المسمى (بمختصر التحرير) أو المختبر المبتكر شرح المختصر في أصول الفقه، تحقيق : د.محمد الزحيلي، د. نزيح حماد، دار الفكر بدمشق ١٤٠٠هـ ١٩٨٠ م.
٢٦. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، صحيح البخاري، طبعة بيت الأفكار الدولية ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.
٢٧. محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي الشافعي، البحر المحيط في أصول الفقة، قام بتحريره : الشيخ عبدالقادر عبدالله العاني، راجعه : د. عمر سليمان الأشقر، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع – بالغردقة، الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م.

٢٨. محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق : أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
٢٩. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.
٣٠. محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي أبو عبدالله، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ .
٣١. محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق : د. بشار عواد معروف، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٨ م.
٣٢. محمد بن محمد العمادي أبو السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٣٣. محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، المستصفى من علم الأصول، دار إحياء التراثي العربي - بيروت (مع فواتح الرحموت).
٣٤. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٣٥. محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى.
٣٦. محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، عون المعبود شرح سنن أبو داوود، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الثانية.

٣٧. محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٨. محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق : محمد رضوان الداية، دار الفكر – دمشق ٢٠٠٢ م.
٣٩. محمود بن أحمد العيني بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث – بيروت.
٤٠. محمود بن عبدالله الحسيني الألوسي شهاب الدين، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٤١. مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، دار الجيل – بيروت، دار الآفاق الجديدة – بيروت.
٤٢. وائل عبد الغني، هويتنا الإسلامية بين التحديات و الانطلاق، مقال في مجلة البيان – عدد ١٢٨ ، لربيع الآخر ١٤١٩ هـ، اغسطس ١٩٩٨ م.
٤٣. ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، دار الفكر – بيروت.
٤٤. يحيى بن شرف النووي محيي الدين، شرح النووي على صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي.

ملخص البحث

الحمد الله الواحد الخالق، والصلاة والسلام على خير الخلائق وبعد..

يعدّ التميّز مفتاح القيادة والريادة، وهو ما تسعى إليه الدول المتقدمة، ولقد سبق الإسلام كل النظريات والدراسات التي تتكلم عن التميّز والمتميّزين بما حواه القرآن الكريم والسنة النبوية من نصوص دلّت على التميّز.

أ- أما القرآن الكريم قد دلّ على ثلاثة أنواع من التميّز :

١- تميّز تكريمي من عند الله لم يطلبه الإنسان ولم يتفوق فيه على الأقران، ومنه تميز جماعي كتكريم الله عزّ وجل لبني آدم على سائر المخلوقات، ومنه تميّز فردي كتكريم الله عزّ وجل لموسى عليه السلام بكلامه.

٢- تميّز طلبي وهو ما يطلبه الإنسان من الله عزّ وجل بأن يدعوه أن يرزقه بما يميّزه عن غيره من الناس، كدعاء داوود عليه السلام أن يرزقه الله ملكاً لا ينبغي لأحد من العالمين.

٣- تميّز تحصيلي (سببي) ومنه الفردي كتميّز نوح عليه السلام في صبره على قومه، وإبراهيم عليه السلام في قوة محاجّته. ومنه الجماعي كتميّز أمّة محمّد ﷺ بأنها خير أمّة أخرجت للناس بأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر.

ب- أما السنة فقد ورد فيها :

١- تميّز حاصل في الدنيا، و هذا منه الفردي مثل تميّز عيسى وأمّة عليهما السلام بعدم مس الشيطان لهما حين الولادة، ومنه الجماعي مثل : تميّز أمّة محمّد ﷺ بأن جعلت لها الأرض مسجداً وطهوراً.

٢- تميّز حاصل في الآخرة، ومنه الفردي مثل تميّز محمّد ﷺ بأنه أكثر الأمّة تبعاً يوم القيامة، ومنه الجماعي كتميّز أمّة محمّد ﷺ بأنها تشهد على غيرها من الأمم.

Research Summary

Praise be to Allah, the One Creator, and prayers and peace on the best creations and then.....

Excellence is the key to command and leadership, which is sought by the developed countries, and Islam has preceded all theories and studies that speak about excellence and talents by what included in Quran and the Sunnah of the texts indicate on excellence.

A- Quran indicated three types of excellence:

١- Honoring excellence from God, not asked by human and the human did not outperformed by it to his peer, it divided into collective excellence like the God honoring for the sons of Adam on the other creatures, and an individual excellence like the God honoring for musa, peace be upon him by his words.

٢- A requested excellence: it is what human may request from God by demanding from God to give him what distinguishes it from other people, Such as du'aa of David, peace be upon him that God give him a property should not be one of the worlds.

٣- Achievement excellence: including the individual one like the excellence of Noah, peace be upon him in his patience with his people and Ibrahim, peace be upon him in his strength pleading, and the collective one like the excellence of the nation of Muhammad peace be upon him in being the best nation on earth by enjoining what is good and ending the vice.

B- But the Sunnah stated:

١- Worldly Excellence: including the individual one like the excellence of Issa and his mother, peace be upon them, by not be touched by the devil while birth, and the

collective one like the excellence of the nation of Muhammad peace be upon him, by making the land a mosque and pure for it.

٢- Otherworldly Excellence: including the individual one like the excellence of Muhammad peace be upon him by being the most of the nation depending on him in the Day of Resurrection, and the collective one like the excellence of the nation of Muhammad peace be upon him, by witnessing to other nations.

المحتويات

المقدمة ٤٥٩

التمهيد ٤٦٤

المبحث الأول : دلالة القرآن على التميّز ٤٦٧

المطلب الأول : دلالة القرآن على التميّز التكريمي ٤٦٩
المطلب الثاني : دلالة القرآن على التميّز الطلبي ٤٧٣
المطلب الثالث : دلالة القرآن على التميّز التحصيلي (السببي) . ٤٧٥
المبحث الثاني : دلالة السنة على التميّز ٤٨٢

المطلب الأول : دلالة السنة على التميّز في الدنيا ٤٨٣
المطلب الثاني : دلالة السنة على التميّز في الآخرة ٤٩٢
الخاتمة ٤٩٧

التوصيات ٥٠٠

المصادر والمراجع ٥٠١

ملخص البحث ٥٠٧